

الوطنية السودانية هي العربية والعربية السودانية هي الإسلام

يعز علىَ أن يكون لقاوتنا بهذه المناسبة الأليمة،^(١) مناسبة غياب قائد عربي من القادة الذين يتركون فراغاً بغيابهم، ولم نكن نتوقع أن تنتهي حياة هذا المناضل والأخ العزيز بهذا الشكل المفاجيء بينما كنا نعلق الآمال الكبيرة على دوره في النضال الوطني والقومي، ولكنها إرادة الله، وليس لنا إلا أن نتأمل الحكمَة في هذه الخاتمة لرفيقنا وأخيينا المرحوم الشريف حسين الهندي.

هل هي خاتمة النضال؟ هل ستضعف نضالنا ونضال الحركة الوطنية في القطر السوداني العزيز، أم أنها ستعطي أعمق وأروع معنى لحياة الفقيد الكبير، إذ تكون إنضاجاً وتکثيفاً للمعاني النضالية التي عاش من أجلها، فتعمل في النفوس وفي الأحداث أكثر مما لو كان حياً؟ وهي بهذا تعبّر عن صدق نضال هذا القائد، لأن الموت إذا تأملناه هو النور الذي يشع على حياة الإنسان ويضيئها ويزيل أعمق معاناتها ويعطيها الشكل المكتمل، لأن الإنسان صاحب القيم الأخلاقية والنضالية لا تنتهي حياته بغيابه الجسماني بل تأخذ إشراقاً وإشعاعاً جديداً يعبر عن أعماق حقيقتها.

نحن ثق ونؤمن بأن النضال الذي عاشه الفقيد بكل صدق، بكل جوارحه، بكل موهبه، هذا النضال سيستمر وسيقوى وإن هذه الرابطة التي أوجدها بين الحزب الاتحادي الديمقراطي في السودان وبين حزب البعث العربي الاشتراكي ليس في السودان فحسب وإنما الحزب القومي، هي إن وصفناها بالتحالف فهذا التعبير إصطلاحي سياسي لا يرقى إلى قوة تلك الرابطة التي أوجدها وساهم في إيجادها بما

(١) حديث مع وفد حزب الاتحاد الديمقراطي السوداني في ١٤ / ١ / ١٩٨٢.

وضعه من اخلاص في البحث وفي المسعى لتوحيد الجهد، ليس في نطاق سياسي محدود فقير، وإنما في إطار عربي قومي حضاري، هذا التحالف، هذه الرابطة الأخوية الصحيحة ستستمر وتقوى وتعمق وستكون روح الفقيد الشريف حسين الهندي حاضرة دوماً تلهمنا وتتحدى بالتفاؤل والثقة بالمستقبل والثقة بشعبنا الأصيل، بشعبنا العربي بكل أقطاره لأنه هو منبع الثقة ومنبع الإيمان.

أيها الأخوة الأحياء

عندما التقى ذلك اللقاء الذي لا ينسى مع الفقيد رجعت بالذاكرة إلى الأربعينات وذكرت له زيارة الوفد الاتحادي لسوريا في ذلك الحين، ذكرت ذلك لأن السودان في تفكيرنا وفي قلوبنا، السودان موجود منذ بداية حركتنا له المكانة العزيزة، له الدور العربي، له الأصالة التي نتعش بها، فمنذ الأربعينات - وكانت حركتنا في بدايتها - كانت لنا هذه اللقاءات مع الأخوة المناضلين السودانيين ومنذ ذلك الحين كان ثمة أكثر من سبب وأكثر من رابطة تجمعنا بأولئك المناضلين، وتوجد هذا الجسر الفكري بين حركتنا وبين الحركة الوطنية في السودان، وإننا كما تعرفون - لم نرد أن تكون حركتنا مجرد حركة سياسية، لأننا استلهمنا الشعب وفهمنا بأن فشل وتعثر الحركات والأحزاب السياسية في اقطارنا العربية كان مرده - في اكثره - إلى أن هذه الأحزاب لم تكن لتروي ظمآن جماهيرنا، ظمآن شعبنا الأصيل. شعبنا ظمامي لهبة حضارية، شعبنا متلهي ليقطة روح الرسالة العربية فيه. هذا الشعب الذي لن ينسى تاريخه والذي عاش قبل قرون تلك الملحم من البطولات ومن الانجازات الحضارية والأخلاقية التي خلقت للعالم بأسره مناخاً سامياً جديداً، مناخاً روحيَا، هذا الشعب لا يرتضي العمل السياسي الاحترافي إن لم يجد أن له صلة بقيمه الروحية، بتراهه الحالد ولا ندعُ أننا أوجدنا شيئاً جديداً وإنما كل ما فعلناه أنا أصغرينا لروح الشعب، التقطنا الصوت العميق لضمير الشعب، التطلع الصادق لجماهير أمتنا العربية لأنها تريد وتحقق إلى نهضة شاملة وإلى حياة كاملة يسودها الانسجام ويخففي فيها التناقض، ولا تتحقق تقدماً في مجال على حساب قيمة أخرى عزيزة، لاتدخل العصر وتمتلك أدوات الحداثة على حساب تراثها وقيمها الروحية وماضيها وتاريخها، هذا التصور الذي هو

بسيط وغير معقد، ولم يكن يحتاج لأكثر من الحس الصادق والنفس الصافية.. المحبة للشعب والمحبة للأرض. وأعرف باننا نلتقي وإياكم على هذه الصورة، على هذا التصور بانكم أنتم ايضا تريدون وتعملون من أجل نهضة حقيقة ونهضة عميقة للإنسان العربي في كل جوانب نفسه وشخصيته، في كل ملكتاته، ان يكون الإنسان العربي المكتمل الشخصية، المؤمن بدینه، بتراهه، برسالة أمته وفي الوقت نفسه الإنسان العصري المتحضر السيطر على وسائل الرقي لكي يصمد في التنافس مع الدول والأمم القوية، ولكي يعطي ويعبر عن جوهرعروبة وقيمها الأخلاقية، ليس بالشكل السلبي شكل الشكوى والضعف، وإنما بالشكل الإيجابي من منطلق القوة والثقة بالنفس والقدرة على العطاء، وعندما أقول عروبة، تعرفون بأنني أقول الإسلام، أيضا، لأن أولاً العروبة وجدت قبل الإسلام، ولكن الإسلام هو الذي انفتح عروبتنا وهو الذي أوصلها إلى الكمال، وهو الذي أوصلها إلى العظمة وإلى الخلود، هو الذي جعل من القبائل العربية أمة عربية عظيمة، أمة عربية حضارية، فالإسلام كان وهو الآن وسيبقى روح العروبة، وسيبقى هو قيمها الإنسانية والأخلاقية والاجتماعية. هذا هو الاخلاص للشعب، هذا هو حب الشعب، هذه الحقيقة.. صحيح أننا نصل إليها في المطالعة وفي قراءات التاريخ - ولكننا نصل إليها بصورة أعمق وأصدق عندما نقترب من شعبنا ونصغي إلى دقات قلبه وإلى خلجانه ضميرة، إلى هذا الترداد، هذا التمازج بين العروبة والاسلام.

العروبة أيها الأخوة ليست شيئاً مختلفاً عن الوطنية، وليس شيئاً نرتقي إليه بعد الوطنية، وليس شيئاً خارج حدود القطر، العروبة هي الوطنية، هي وطنية كل مواطن في أي قطر عربي إذا عرفنا كيف نقرأ نفس المواطن وكيف نكشف له عن حقيقة مشاعره وانتهائه وتعلمهاته، ولقد أراد الاستعمار الاجنبي واعداء الامة العربية الصهابية والشعوبيون ومازالوا يحاولون أن يخلقاً تناقضات تضعف من قوة العرب وتعيق وحدتهم، فتارة الوطنية المحلية توضع في وجه العروبة، وتارة توضع العروبة في وجه الإسلام، وهكذا، فعندما يأتي ساسة منحرفون أو مرتبطون بالعهالة للأجنبى ويقولون مصر مصرية، يقصدون إبعادها عن العرب بهذا الالاحاج على الهوية المصرية. نحن

نؤمن بأن الشعب المصري هو مصرى بقدر ما هو عربي، وهو عربي بقدر ما هو مصرى ، ولا فرق بين مصريته وعروبيته إذا عرفنا كيف نرفع عنه هذا التضليل الثقافى المجنى الدخيل الذى يسلطونه عليه منذ أكثر من قرن . ونحن إذا كنا نراقب ونصطدم أحيانا بمثل هذه التناقضات المصطنعة المفروضة في بعض الأقطار، فإننا مطمئنون إلى أنها في السودان غير واردة، فالوطنية السودانية هي العروبة بعينها والعروبة السودانية هي الاسلام في جوهره.

أنت أيها الاخوة في بغداد.. في بغداد العرب التي تخوض منذ عام ونصف العام ، حربا دفاعية تدافع فيها عن هذه القيم ، تدافع فيها عن هذا التصور للنهضة العربية ، تدفع عنها وعن سائر العرب وعن المستقبل العربي شر هجمة مفتعلة فيها كل الافتعال لا يجاد تناقض بين العروبة والاسلام ، لاضعاف العروبة في وقت يتكلب فيه الأعداء من كل صوب ،الأمبريالية بكل ثقلها والصهيونية بكل شرورها على الامة العربية لتمزقها مزقا ، ولتمزق الشخصية العربية ، شخصية الانسان العربي ، لتملا نفسه بالتناقض ، بالشكوك ، لأن يفقد ثقته بنفسه وبأمته ويمستقبله ومستقبل أمته ، في هذا الوقت بالذات ، يفتلون معركة تقوم على خلق هذا التناقض وعلى هذا الادعاء ، ولكن العراق ، عراق البعث كان أهلا وجديراً بأن يرد عن أمته كيد هذا الافتاء وهذا العدوان ، كان مؤهلا بالنهضة الحديثة التي بناها لنفسه بعد ثورة الحزب وفي الروح التي يستلهماها وفي العقيدة التي يهتدي بها ، كان مؤهلا أن يرد كيد الشعوبية الحاقدة التي لا تريد لأمتنا ان تنهض من جديد بالرسالة العربية ، وأن يجسد العراق في هذه الحرب الداعية معالم المستقبل الذي يطمح إليه العرب ، ومعالم الشخصية التي يطمح إليها الانسان العربي الجديد ، فنحن أيها الاخوة نعرف بأننا دخلون منذ عشرات السنين في معركة قومية حضارية مع العقلية الاستعمارية والعقلية العنصرية والاطماع التوسيعة التي مثلها الغرب الاستعماري واستخدم العنصرية الصهيونية كما استخدمته هي لتحقيق مآرب في مؤداتها - تمزيق لأمتنا وتعويق لنهضتها إن لم يكن تاما على وجودها . فالمعركة الحضارية التي يجب أن نتهيأ لها ونوطد أنفسنا لعشرين السنين كي نخرج منها متصررين ، إنما تتطلب هذا التصور الكامل الشمولي للمجتمع وللإنسان لكي نستطيع

ان نلبي أعمق ما في قلوب جاهزتنا العربية من تطلعات، ونفجر أعمق ما تخزنه من طاقات، عندما ترى الصورة التي تحلم بها فانها تعطي بدون حساب، وإنما أكرر بانني مطمئن للقاء، للتلاقي الصميم بيننا وبين الحركة الوطنية السودانية والحزب الاتحدادي الديمقراطي على هذا التصور للمستقبل العربي للانسان العربي الجديد، للمجتمع العربي، للحاضر العربي. كيف نخوض نضالاً ناجحاً؟ عندما نفهم حاجات الجماهير فيها عميقاً، عندما نتجاوب مع هذه الحاجات المادية والروحية، عندما نعطي القدوة، عندما نجسّد هذه الأفكار في صور حية، في قيادات النضال وفي أخلاقية النضال، عندما يحترم الانسان، عندما يطبق الديمقراطية الحقة، عندها يتنفس شعبنا من جديد، هواء الرسالة، جو الحضارة، جو النهضة الأصيلة؛ وكما قلت سوف يعطى في النضال وفي التضحية وفي الابداع اضعاف ما نطلب منه والسلام عليكم.

١٤ كانون الثاني ١٩٨٢